

# قصتي

بقلم بهيج عثمان

فتأملت خطوطها وقارنتها بالمشهد الطبيعي الذي عنه ينقل ... ثم قدمت إليه نفسي : إنساناً آتياً من الشرق ، رأى فيه مثلاً حياً من أمثلة الكفاح العنيد ، واستأذنته في أن يحدثنني عن حياته الفنية ، ففهم ما أريد ، وأقبل نحوي متكلماً الاسبانية حيناً والفرنسية حيناً آخر ، ومعبراً بحركات من يده اليسرى تدعمها حركات غير كاملة من يده اليتيماء ، في أكثر الأحيان . كان رساماً كبيراً ، ولوحاته الجميلة معروفة في قصور الاغنياء في برشلونة . وفي الحرب الأهلية الاسبانية أصابته شظية من قنبلة ، وقد اختارت الشظية يمينه لها هدفاً . ولما نقل إلى المستشفى رأى الطب أن لا بد من قطع اليد اذا أراد أن يعيش ...

وقطعت يدي .. قالها لي في زفرة صادرة من أعماق القلب ، فأبيت عليهم الا أن يعرضوها علي بعد قطعها حتى أودعها الوداع الأخير . فلما أفقت من غيبوتي حملوا إليّ طبقاً من أطباق المستشفى ، ورفعوا عنه الغطاء الأبيض ، ورأيت يدي ... رأيت بقايا يدي مصبوغة بالدماء ، ورأيت أناملي ذابلة صفراء ... وبكيت بكاءً مرّاً بما رأيت ... أناملي المفكرة التي خطت لوحات ولوحات ...

أناملي التي كنت أعبرها بما في نفسي من عواطف وخليجات . إنها نفسي كلها تذهب أمامي ، وأبقى بعدها لا أملك من أمري شيئاً ... وصرخت : لماذا أبقى

وقفت فجأة في زقاق من أزقة برشلونة . زقاق يوحي ضيقه وارتفاع الجدران على جانبيه ، وتأكل الحجارة التي تقترش أرضه ، بانه قد أمعن في التاريخ بعض الشيء ، وبانه قد شهد أجيالاً من الناس قبل عصرنا هذا .

وما كان لي أن أقف مشدوهاً ، فقد رأيت مثل هذا المشهد عشرات ... إن مشهد الرسامين في شوارع برشلونة غدا مألوفاً لا يثير في نفسي دهشة او عجباً ، فما أكثر ما اعترضني على الأرصفة ، وعند المطلات الجميلة ، وأمام الأبنية الأثرية رسامون قد جلسوا على مقاعد واطئة وأمام كل منهم مرسمه النقال ، وفي يده اليسرى « كفته » يستمد منها الألوان التي يفرضها المنظر الذي يرسم ، وفي يده اليمنى ريشته تخط على القماش او

الورق ، الحطوط والظلال والاضواء ، وبين يدي ذلك كله صف طويل من اللوحات الجاهزة تتكئ على الجدار بعد أن نقض الرسام يده منها وأصبحت تحت أنظار الراغبين من المارة ...

ما كان لي ان أقف مشدوهاً لولا أن هذا الرسام كان مقطوع اليد اليمنى ، فكان مشهد الردن القصير المدلى مؤثراً تأثيراً بعيد المدى في نفس الناظر المتوسم ، وكان هذا الردن ذو الجوف الفارغ يتحرك حين يتحرك جسم الرسام وهو يخط بيده اليسرى على لوحته ...

اقتربت من الفنان فألقيت عليه سلاماً فيه حنو وفيه إشفاق وأقبلت على اللوحة بين يديه



## دار المعارف بيروت وكلاء دار المعارف بمصر

تقدم الى العالم العربي احدث المطبوعات

**ألوان :** للدكتور طه حسين - دراسات تعمق  
واستقصاء لألوان مختلفة من الادب على تباعد العصور  
وتباين الاجيال .

٣٨٤ صفحة من القطع الكبير

**المغرب الاقصى :** للمرحوم امين الريحاني - رحلة قام  
بها المؤلف الى المغرب الاقصى فشهد وسجل وحل ووصل  
في التعمق الى اغوار الحوادث والنفوس .

٦٨٤ صفحة من القطع المتوسط

**مجموعة ذخائر العرب :** تهدف هذه المجموعة الى اخراج  
اثن ما في التراث الفكري العربي اخراجاً علمياً دقيقاً .  
صدر منها للآن :

مجالس ثعلب جزآن : لأبي عباس احمد بن يحيى ثعلب ،  
تحقيق عبد السلام محمد هرون .

جمهرة انساب العرب : لأبي محمد علي بن سعيد بن حزم  
الاندلسي ، تحقيق المستشرق ا.ل. بزوفنسال .

اصلاح المنطق لابن السكيت : تحقيق الاستاذين الشيخ  
احمد شاكر وعبد السلام هرون .

رسالة العفران لأبي العلاء المعري : تحقيق بنت الشاطيء  
ديوان ابي تمام الجزء الاول : شرح الخطيب التبريزي ،

تحقيق الاستاذ محمد عبده عزام .  
حلية الفرسان وشعار الشجعان لأبن هذيل الاندلسي :

تحقيق الاستاذ محمد عبد الغني حسن .  
حي بن يقظان لابن سينا وابن طفيل والسهروودي :

تحقيق الدكتور احمد امين .  
يصدر قريباً : طبقات فحول الشعراء - نسب قريش -

المغرب في حلي المغرب - كتاب الرorque .  
احدث الكتب في التشريعة الاسلامية : صدر حديثاً منها :

المسند للامام احمد بن حنبل ، ظهر منه حتى الآن عشرة  
اجزاء - يوم الاسلام : للدكتور احمد امين - دعائم

الاسلام : للقاضي النعمان بن محمد .  
اطلب فهرس « دار المعارف » يرسل لك مجاناً  
مركز الدار : بيروت ، السور ، بناه العسيلي ☒ ٥٤٣ ☎ ٦٧/٣٥

دون أناملتي ؟ كيف أخطب الناس ؟ هل أستطيع أن  
أرى ما خطته أناملتي من لوحات في كل مكان ؟ ما عساي أن  
أفيد بعد الآن ؟ ما نفع المطرب ذي الصوت الساحر اذا  
أصيب بالكم ؟

أناملتي الضائعة .. كنت أخطبك فتجيبين ، وأبئك نجواي  
فتفطين بها على القماش صادقة مخلصه حية ، لقد ذهبت وأسفاه ،  
وتركتني أرى الجمال فلا أملك أداة التعبير عنه ، وتمتلي نفسي  
بالفكرة فينطوي بعضها على بعض دون أن تظهر وتنتقل إلى  
العيون التي ترى وتتأمل وتذوق .

في أي سجن تريد الأقدار أن تسجنني ؟

وغطيت عيني لا أريد ان أرى نفسي الذاهبة في أناملتي ،  
وفني الذي مات وتوقف عن الاستمرار .. غطيت عيني بيدي  
اليسرى فتذكرت أن لي يداً أخرى ما تزال ...

صحيح أنها لم تصلح يوماً الا للحمل والنقل وإمسك الاشياء  
وصحيح أنها لم تمرن على التعبير والرسم ، ولكن ماذا  
يمنعني من أن أروضها وأعهد لها حتى تحمل محل أختها التي ذهبت ؟  
ألم يحط ليوناردو دي فنشي أروع لوحاته بيسراه ، وفي  
مقدمتها لوحة « الجوكوندا » الخالدة ؟

وكانت أسابيع وشهور ، واذا بي اليسرى تمرن وتتدرب  
قليلاً قليلاً ، حتى أصبحت طيبة لما تفيض به نفسي ، وما لبثت  
أن دفعت باللوحة إثر اللوحة ، والمشهد تلو المشهد ، معبرة عن  
الجمال في صدق وبراعة وفن ، ألا ترى ذلك في هذا الصف  
الطويل من اللوحات ؟

وهنأت الرسام بجرارة ، بمسكاً يده اليسرى بكتا يدي ،  
على بطولته في استعادة نفسه التي أوشكت أن تلحق بيده اليمنى  
وفي استعادة مجده الذي كاد أن يضيع ، وقد تحدى القدر بعناد  
شديد وصبر عجيب .

وابتعت لوحة من لوحاته ، وعلقتها في غرفتي بعد أن سميتها :  
« قصة يد » .

عنوان  
٦٧